

ترجمة معاني القرآن الكريم من طرف المستشرقين بين أزمي اللغة والسّياق، ترجمة جاك بيرك أنموذجا

Translation of the Meanings of the Qur'an by Orientalists Between the Problematic of Language and Context: The Translation of Jacques Berqueas an Model

لقرع عيبر*

جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)، legraabir@gmail.com

مخبر الانتماء: مخبر الدراسات المصطلحية و المعجمية

تاريخ الارسال 2024/02/26 تاريخ القبول 2024/05/25 تاريخ النشر 2024/11/01

ملخص:

تُمثّل ترجمة معاني القرآن الكريم تحديًا حقيقيًا ومهمًا، تولّج المترجم في متاهات ليس بالهَيِّن الخروج منها، إذ ترتكز الترجمة على مدى نجاح المترجم في نقل المعنى خاصة إذا كان هذا الأخير غير عربي ولم ينشأ في بيئة اللغة مسلمة الديانة على غرار المستشرقين الفرنسيين أمثال جاك بيرك الذي تمكّن من توثيق اسمه بين مصاف المستشرقين المعاصرين الذين حاولوا ترجمة القرآن الكريم رغم أزمة اللغة والسّياق .

يهدف هذا المقال إلى إبراز مدى صعوبة ترجمة معاني القرآن الكريم من طرف المستشرقين نظير جاك بيرك ومحاولة توضيح الإشكالات التي تواجههم مع إعطاء بعض الأمثلة وتحليلها مُستدلين في ذلك على تفسير ابن كثير، ثمّ بعد ذلك اقتراح ترجمات لإيصال دلالات المعنى مع مراعاة السّياق الدّلالي والتّاريخي وفي الأخير محاولة ضبط منهجية لترجمة معاني القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: ترجمة معاني القرآن الكريم - اللغة - السّياق - المستشرقين - إشكالات.

Abstract: Translating the Meanings of the Qur'an is a challenging, yet significant endeavor. The task poses a significant challenge for translators as it engulfs them in twists and turns that are not readily surmountable. The effectiveness of the translation effort depends on the translator's proficiency in conveying the meaning. The challenge is even greater for non-Arabic-speaking translators who were not brought up in a Muslim Arabic-speaking environment. For instance, French Orientalists like Jacques Berque who succeeded in making his name known among contemporary Orientalists who attempted to translate the Holy Qur'an despite the language and contextual constraints.

This article aims to shed light on the complexity of translating the meanings of the Qur'an by Orientalists such as Jacques Berque. It intends to address some of the problematics that they face by providing examples and analyzing them, with reference to Tafsir (interpretations) of Ibn Kathir.

The article also proposes several translations to convey the semantics (meaning), while considering the historical and semantic context. Ultimately, the article aims to establish a methodology for translating the meanings of the Qur'an.

Keywords: Translating the meanings of the Qur'an- Language- Context- Orientalists- Problematics.

1. مقدمة: لطالما اهتمَّ المتخصصون و العلماء وحتى المستشرقون بكلام الله المعجز حيث كان ولازال موضوع أبحاثهم ، ذلك لأنه المنزل على خير الأنام، و أبحر عند نزوله العالمين نظرا لتجلي أسمى صفات الكمال اللغوي وكذا البلاغي فيه، لهذا انصبَّت جهودُ المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم وواجهوا صعوباتٍ في ذلك، لأنَّ نقل كلام الله إلى اللغات الأخرى ليس بالأمر الهين، خاصة إذا تعلَّق الأمرُ بمسْتَشْرِقٍ لم يترعرع في بيئة لسانها العربية وديانتهُ الإسلام ، فنقل معاني القرآن الكريم ليس بالأمر اليسير حتى على أولئك الملمِّين باللغة العربية لغزارة ألفاظه و معانيه ولسلاسة وعدوبة أسلوبه ولتنوع علومه وكثرتها، وكذا لاستناد الدين الإسلامي على عباداته التي شرَّعها الله وأحكامه وأخلاقه بصفته دستور حياة وعلى قصصه وعلومه على اختلاف مشاربها. لهذا ارتأينا أن نطرح الإشكالية الآتية : ما هي الإشكالات التي واجهها المستشرقون وعلى رأسهم جاك بيرك عند محاولة ترجمتهم لمعاني القرآن الكريم؟ وما هي المنهجية المقترحة لتحقيق ترجمة دقيقة لها ؟

سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال الإحاطة بالعناصر التالية:

- ترجمة القرآن الكريم وخصائصه

- المستشرقون والقرآن الكريم

- تحديات المستشرقين في ترجمة معاني القرآن والمناهج المعتمدة في ذلك

وختامًا قمنا بتسليط الضوء على حلول عملية قد تمكن من ترجمة كلام الله ترجمةً صحيحةً قريبة للمعنى .

إن دراسة ترجمات المستشرقين كانت ولا زالت محلَّ إهتمام الباحثين وكذا المتخصصين في دراسة القرآن الكريم بشكل عام وتفسيره وترجمته بشكل خاص، لذا رأينا أنه من الأجدر الإشارة إلى الدراسات السابقة التي لها علاقة ببحثنا على غرار الدراسة التحليلية حول أسباب أخطاء المستشرقين في تفسير القرآن الكريم التي قام بها عثمان بن حليمه وكذا الورقة البحثية التي قامت بها نعيمة بوزيدي الموسومة بالاستشراق الفرنسي وترجمته للقرآن الكريم وكذا مقال عبد الجبار توامه حول نقد ترجمة القرآن إلى الفرنسية في ضوء المنهج السياقي .

2. ترجمة معاني القرآن الكريم:

إنَّ القرآن هو مُعْجَزَةُ نبيِّ الأُمَّة والمنزَّل عليه صلوات الله وسلامه عليه ، فلا يمكن بأي شكل من الأشكال محاكاة إعجازه على غرار إعجازه البلاغي أو التشريعي أو العلمي أو التاريخي، فالقرآن رسالة و أمانة و فرض على البشرية جمعاء وعلماء الأمة على وجه الخصوص. فمن آياته اختلافُ الألسن لهذا فلا بد من تبليغ هذه الرسالة بنقلها شكلا ومضمونا بكلِّ لغات العالم ، ولهذا يُعدُّ هذا العمل أي ترجمة معاني القرآن الكريم عملا دينيًّا وعلميًّا لا تقدِّره كلُّ النفوس لهذا يجب أن ينهضَ به فئة من العلماء.

1.2 معنى ترجمة القرآن الكريم:

تتمثل ترجمة معاني القرآن الكريم في نقل معنى الآيات القرآنية بشكل عام وألفاظه بشكل خاص من لغته الأم أي اللغة العربية إلى اللغات الأخرى مع المحافظة - قدر الإمكان - على الأسلوب والمعنى، وإن كان هذا الأمر شبه مستحيل، ذلك أن اللغة العربية عموماً ولغة القرآن خصوصاً لا توجد لغة ماثلة لها في بلاغتها ولا في دقتها ولا في بياحها كما أنه كلام الله العالم بكل شيء الذي لم يكن له كفواً أحد سبحانه الكامل كذلك الأمر بالنسبة لكلامه فلا يشوبه نقصان ولا أخطاء عكس المترجم فمهما أتقن اللغة العربية إلا أنه لن يبلغ مبلغ كلام الخالق، هذا فمن أهم خصائص القرآن الكريم ما يلي:

1.1.2 الإعجاز البلاغي:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على خير البشرية في زمانٍ كان قد اشتهر العرب فيه بفصاحتهم وبلاغتهم ، فقد كان ذلك كتحدٍّ للعرب أن يأتوا بمعجزة كلام الله لفظاً ومعناً، " فانبهر فصحاء العرب بهذا الكلام ومنهم الوليد بن المغيرة حين روي عنه أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن فكأنه رقى له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عمّ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال، لم؟ قال : ليعطوكه، فإنك آتيت محمداً تتعرض لنا قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكّر له أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله، أن لقوله الذي يقول حلاوة، وأن عليه لطلاوة، أعلاه مغدق أسفله، إنه لا يعلو وما يعلو وإنه ليحطّم ما تحته" (كثير، صفحة 576) فلشدة جمال وعذوبة القرآن تأثر به حتى غير المسلمين من العرب والعجم.

فالقارئ والمتدبر للقرآن يفهم أن ألفاظ القرآن دقيقة المعنى تأتي لتصور مراد قول الله تعالى في ذلك الموضع تحديداً باعتبار السياق والمعنى على حدّ سواء، فجمال اللفظة لا يمكن الإحساس بها دون سياقها وما دون ذلك إخلال لطبيعة البلاغة ، كما أن الإعجاز البلاغي يتمثل في سحر القارئ بالبيان والأسلوب ممّا يؤثّر على فكره وعلى قلبه ووجدانه ، فتتراوح مشاعره بين خوفٍ من غضب الله حين يذكر في القرآن آيات العذاب ومصير الكفار والفجار ، وبين سكينه من رحمته سبحانه وتعالى حين يذكر النعيم ومشوى المؤمنين، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظمة الخالق الذي وضع كل كلمة في موضعها، إذ أن كلامه ليس ككلام البشر، فقد أنزل القرآن "لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين" (سورة يس، الآية 70) فهو يُنذِر ويخوِّف عباده الغافلين لعلهم يرجعون إلى رُشدٍهم ويهتدون إلى طريق الحق، كما يخبر من أصرّوا على الكفر ومن ظلموا أنفسهم عمّا ينتظرون من عذاب.

اختص القرآن الكريم بالدقة في الوصف و أسلوب التعبير ، فقد اختلف وتباين هذا الأخير باختلاف الموقف والقضية ليكون العبرة و الموعظة الحسنة، فكلمة في القرآن تختزل جملة في تفاصيلها كما في قوله تعالى "

فأسقيناكموه" (سورة الحجر، الآية 22)، وآية تختزل في ثناياها قصصا وعبرا كما في قوله عز وجل " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين" (سورة البقرة، الآية 65) كما أشار فئة من العلماء والمتخصصين بالكلام في القرآن أنه متناسق ومتكامل ومنسجم مع بعضه البعض ومع ما قبله وما بعده، حيث شبه النورسي تناسق وتنظام كلام الله بالساعة التي يكمل نظام بعضها بعضا.

2.1.2 شمولية كلام الله لجميع البشر:

شمل خطاب الله سبحانه وتعالى جميع البشر على اختلاف مشاربهم وألسنتهم وحتى علومهم، رغم اختلاف ألسن القبائل والشعوب خاطبهم القرآن في لغة واحدة ووجه لهم الخطاب ليروي لهم قصص الأمم السابقة ويرشدهم إلى الخير والطريق السوي، فالقرآن موجه لجميع المخلوقات التي ميزها الله بالعقل أي " لأولي الألباب " و للمسلمين وغير المسلمين، للصغار والكبار، للرجال والنساء على حد سواء، فكما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام للناس كافة، معجزته ووجهته للناس أجمعين.

3.1.2 إعجاز ترتيب سور القرآن:

لم يتفق نفر من العلماء حول ترتيب سور القرآن، أهو وحي من الله رب العالمين؟ أم أن الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو من تولّى ذلك؟ فيتساءل البعض عن سبب اختلاف أماكن بعض السور فمنها ما تجده في الجزء الأول والبعض الآخر في الجزء الأخير، هل كان ذلك بسبب نزول هذه السور نفس هذا الترتيب؟ أم أن الصحابة رضوان الله عليهم هم من قاموا بهذا الترتيب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ اختلف في ترتيب السور على ثلاثة أقوال: فالقول الأول يرجح أن الترتيب على ما هو عليه الآن هو إنما باجتهاد من الصحابة حسب مالك، ويقول ابن فارس في كتاب المسائل الخمس " جمع القرآن على ضربين، أحدهما تأليف السور، لتقدم السبع الطوال وتعقبها بالمتين، فهذا هو الذي تولته الصحابة رضي الله عنهم، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور، فذلك شيء تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل (لاشين، 2002، صفحة 38)

والقول الثاني أن ترتيب السور كلها توقيفي بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم حتى موضع السور لم يكن إلا بأمر منه صلوات الله عليه، لقول أبو بكر الأنباري: أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بعض وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواب لمستخبر، ويقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والكلمات والحروف كله من النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن. (لاشين، 2002، صفحة 38)

أما القول الثالث، فكان الجمع بين الموقفين الآخرين أي أن ترتيب بعض السور كان بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم والبعض الآخر بأمر من الصحابة، فقد قال القاضي أبو محمد بن عطية " أن كثيرا من السور

قد عُلِّمَ تَرْبِيَّتُهَا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالسَّبْعِ الطَّوَالِ وَالْحَوَامِيمِ وَالْمَفَصَّلِ، وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قُؤُوسُ الْأَمْرِ فِيهِ إِلَى الْأُمَةِ بَعْدَهُ " (لأشبين ، 2002 ، صفحة 38)

3. خصوصية لغة القرآن :

أَجْمَلُ وَصْفٍ يُمْكِنُ أَنْ نَصِفَ بِهِ هَذِهِ اللُّغَةَ هُوَ أَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ كَمَا أَنَّهَا "لُغَةُ الْقُرْآنِ" الَّتِي نُزِّلَ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ ، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا خَيْرُ اللُّغَاتِ . وَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَمَيَّزَهَا .

إِنَّ الْمَتَأَمَّلَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَجِدُ أَنَّهَا تَتَمَيَّزُ بِخَصَائِصٍ وَ الَّتِي نَذَكُرُ مِنْهَا :

1.3 سعة المفردات:

يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ " لِسَانُ الْعَرَبِ أَوْسَعُ الْأَلْسِنَةِ مَذْهَبًا وَأَكْثَرُهَا أَلْفَاظًا " (الشَّافِعِيُّ ، صفحة 42) تَتَمَيَّزُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِغَزَاةِ أَلْفَاظِهَا وَمُفْرَدَاتِهَا حَتَّى أَنَّ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ لَهَا عِدَّةُ مَعَانٍ كَمَا نَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُسَمَّيِّ وَاحِدًا ، حَيْثُ يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَلِيُّ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَافِي " أَنَّ أَهَمَّ مَا تَمْتَّازُ بِهِ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّهَا أَوْسَعُ أَخْوَاتِهَا السَّامِيَّةِ ثَرَوَةً فِي أَصُولِ الْكَلِمَاتِ وَالْمُفْرَدَاتِ [...] وَأَنَّهُ تُجْمَعُ فِيهَا مِنَ الْمُفْرَدَاتِ فِي مُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ الْكَلِمَةِ إِسْمُهَا وَفِعْلُهَا وَحَرْفُهَا وَمِنَ الْمُفْرَدَاتِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ... مَا لَمْ يَجْتَمِعْ مِثْلُهُ لِلُّغَةِ سَامِيَّةٍ أُخْرَى ، بَلْ مَا يَنْدُرُ وَجُودَ مِثْلِهِ فِي لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الْعَالَمِ " (وَافِي، 2004 ، صفحة 131).

تَبْلُغُ عِدَدُ الْمُفْرَدَاتِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي يَتِمُّ اسْتِعْمَالُهَا مِنْ طَرَفِ الْمُتَحَدِّثِينَ بِهَا حَوَالِي خَمْسَةِ مِلْيُونٍ وَتَسْعَةِ وَسْتُونَ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةِ لَفْظٍ مِنْ جُمْلَةٍ سِتَّةِ مِلْيُونٍ وَسِتْمِائَةِ وَتَسْعِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةِ لَفْظٍ بَيْنَمَا لَا تَوْجَدُ لُغَةٌ أَوْرُوبِيَّةٌ أَوْ عَالِمِيَّةٌ تَضَاهِيهَا فِي هَذَا الْكَمِّ الْهَائِلِ مِنْ مُفْرَدَاتِهَا .

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَجَسَّدُ سَعَةُ الْمُفْرَدَاتِ وَتَعَدُّدُ الْمَعَانِي لِلْفَرْقِ الْوَاحِدِ ذَكَرَ لَفْظُ (الْجِبَالِ) بَعْدَ أَسْمَاءٍ وَهِيَ كَالتَّالِي:

- الْجِبَالُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (سورة مريم، الآية 90-92) .
- الرُّوَاسِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ (سورة الرعد، الآية 3)
- الْأَوْتَادُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ﴾ (سورة النبا، الآية 7)
- غُرَابِييبُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (سورة فاطر ، الآية 27)

2.3. الإيجاز :

وَتَعْنِي إِمْكَانِيَّةَ وَضْعِ حَرَكَاتٍ أَوْ عِلَامَاتٍ أَوْ إِشَارَاتٍ لِلتَّمَكُّنِ مِنْ تَصْغِيرِ حَجْمِ الْكَلِمَةِ عِوَضًا أَنْ تُكْتَبَ بِشَكْلِ يَأْخُذُ حَيَازًا كَبِيرًا كَالشَّدَّةِ وَالضَّمَّةِ إِضَافَةً إِلَى الْإِدْغَامِ وَالْجَمْعِ وَالتَّشْبِيهِ كَمَا يَتِمُّثَلُ الْإِيجَازُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي

اختصار العديد من العبارات في عبارة واحدة كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية 179)، فهذه الآية رغم قلة صيغها إلا أنها اشتملت على معاني عدة، فالقصاص لفظٌ يشمل الضرب والجرح والقتل الذي يكون مُتَعَمِّداً، و يعني هنا عقوبة المعتدي بمثل ما اعتدى به أكان ذلك قتلًا أو ضرباً أو غيرها ، والحياة هنا هي إذا علم أن العاقبة هي القصاص تراجع عن فعله، فيكون سبباً في حياة الأنفس.

3.3. الدقة :

من خصائص لغة الضاد الدقة المتناهية في التعبير عن اللفظ الواحد، حيث وضع كل لفظ بحكمة بالغة ، فما يدل عليه لفظ "غَيْث" في القرآن الكريم مثلاً غير ما يدلُّ عليه لفظ " مطر " وكذلك الأمر بالنسبة للفظ "ريح" و"رياح". فكلامُ الله كلامٌ معجز ومحكم ومتطابق اللفظ والمعنى كما يُعبّر بأدق الوسائل اللغوية عن المعاني المراد إيصالها للمتلقي .

نضرب مثلاً في الدقة في قوله تعالى " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يُبْصِرُونَ" (سورة البقرة، الآية 17) يتحدث الله سبحانه وتعالى هاهنا على المنافقين ، لكنَّ السَّؤال المطروح هو لماذا قال "نورهم" بالتحديد ولم يقل "نارهم" ؟ فعن ابن مسعود و ناسٌ من الصحابة في هذه الآية، قالوا: إنَّ ناساً دخلوا في الإسلام، عند مَقْدَم النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم المدينة، ثم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجلٍ كان في ظلمةٍ، فأوقد نارا، فأضاءت ما حوله من أذى، فأبصره حتى عرف ما يتقي، فبينما هو كذلك حتى إذ طُفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى، فكذلك المنافق، كان في ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلال من الحرام ،والخير من الشرِّ، فبينما هو كذلك إذ كفر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشرِّ" (الطبري، بلا تاريخ، صفحة 4)

4. المستشرقون وترجمة القرآن:

1.4. تعريف الاستشراق الفرنسي:

لغة "الاستشراق Orientalisme " مصطلح مأخوذ من مفردة المشرق"، وهي مأخوذة ومشتقة من كلمة "الشرق" وكلمة "استشراق" مكونة من الألف والسين والتاء، وهاته الحروف إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب (زناقي، 2012)، فاستشرق معناها طلب علوم الشرق ويرى بعض العلماء أن "استشراق" مثلها مثل مفردة "استخراج" التي تعني إخراج أمرٍ من باطن الأرض ولو تم إسقاط ذلك على مفردة "استشراق" يُصبح معناها إظهار أو إبراز ما كان موجوداً في بلاد الشرق من علوم وأفكار وحضارات.

يُعتبر مالک بن نبي من المفكرين الذين تحدّثوا عن المستشرقين في أبحاثهم وحاولوا تعريفهم ، فيقول في هذا الصدد "أننا نعني بالمستشرقين، الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية" (بن نبي، 1969، صفحة 5)

ظهر الاستشراق الفرنسي بشكل واضح وصريح في القرن السادس عشر مُثَلًا بفرنسا وقد تمَّ على إثر ذلك تأسيس مدرستي "ريمس" و"شارتر" لتدريس لغة الضاد في باريس، كما تم إدراج مادة الدراسات الإسلامية من بين المقاييس التي يتم تدريسها في جامعة "السوربون"، ثم أُسس معهد للدراسات الإسلامية بنفس الجامعة. ومن هذا المنطلق بدأ الاهتمام بالمؤلفات والدراسات واللغات الشرقية حيث برز أساتذة والذين عَنُوا بتدريس هذه الأخيرة أشهرهم: "سلفستر دي ساسي" - "جوبير" - "رينوه" ...

2.4. نبذة تعريفية عن المستشرق الفرنسي "جاك بيرك":

وُلد جاك بيرك في الجزائر في 4 يوليو 1910 وعاش وزاوّل أولى دراساته فيها ثم تلقى دراساته الجامعية في السوربون بباريس، في سنة 1956 تم انتخابه أستاذًا في الكوليج دي فرانس Collège de France لتدريس التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر وكذا مديرا للأبحاث في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، ومع مطلع سنة 1980 تفرغ المستشرق الفرنسي للتأليف والترجمة واقتصرت نشاطاته في المشاركة في الملتقيات والمؤتمرات (البدوي، 1984)

دَفَعَتْه نشأته في الجزائر إلى الاهتمام بالمغرب العربي مجتمعا وسكانا وإلى دراسة الإسلام واللغة العربية دراسة معمقة ليصير من أهم المستشرقين في النصف الثاني من القرن العشرين. تجاوزت مؤلفاته العشرين من الكتب المطبوعة سوى ما نشره من الدوريات المتخصصة من أبحاث ودراسات، من أهمها ترجمته للقرآن الكريم.

3.4. تحديات المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم:

هو وحي من عند الله وهو كلام الله، فكيف لبشر أن يحاول ترجمته بعبارات عادية؟ وقد ذكر في القرآن أنه "ليس كمثله شيء" إذ تحدّى الله البشر بأن يأتوا بمثله ولن يأتوا بمثله ولو اجتمعت كل الأمة، يقول فضيلة الشيخ محمد خضر حسين "كان المسلمون فيما سلف يقتحمون للسيادة كل وعير ويكبون لإظهار دين الله كل خطر، وكانت اللغة العربية تجرّ رداؤها أينما رفعوا راياتهم، فلم يشعروا في دعوتهم إلى الإسلام بالحاجة إلى نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ربما كان عدم نقلها إلى غير العربية وهم في تلك العزة والسلطان من أسباب إقبال غير العرب على معرفة لسان العرب" (حسين، 2008، صفحة 11)، لهذا ظهرت حركة الاستشراق التي كانت تهدف في بادئ الأمر إلى محاولة استكشاف وإزالة الغموض عن حضارة الشرق وتعلّم لغتها ودينها والتّوغل في بحرها، كما كان اهتمامهم بالإسلام وبالقرآن على وجه الخصوص، فتكاثفت جهودهم لتعلّم لغة القرآن بكل ما تحمله من معاني وتراكيب ونحو وبيان.

ولقد أكّد محمد حميد الله أنه بما أن القرآن نزل باللغة العربية التي تتميز ببلاغتها وفصاحتها وعمق معانيها فإنه يحتاج إلى التفسير لفهمه ولترجمته كذلك، وبما أن القرآن أنزله الله كافة للناس بشيرا ونذيرا، فإن الله سبحانه يهدي به إلى الإسلام كثيرا من غير العرب، فهم يحتاجون قبل إسلامهم وفي بداية إسلامهم إلى أن يقرؤوا القرآن مُترجما إلى لغاتهم.

4.4 الأساليب التي اعتمدها المستشرق الفرنسي جاك بيرك لترجمة معاني القرآن الكريم :

1.4.4.- محاولة ترجمة النص القرآني رغم سعة مفردات اللغة العربية واختلاف معانيها:

إن لغة القرآن لها خاصية مميزة هي أنها خاصة بكلام الله، فقد اختصها الله سبحانه وتعالى لتكون وسيطا ووسيلة ليُكَلِّمَ بها عباده وللتواصل بينهم، فهي لا تُقَارَن مع أي لغة من اللغات كما أن ترجمة القرآن بأي لغة لن تُضاهي نص القرآن في رونقه وجمال ألفاظه وغازة معانيه وُعذوبتها وبلاغته وبيانه، لذا لم نجد ترجمة دقيقة أمينة للقرآن، فمحاولة الوصول بالترجمة عموما إلى أن يكون النص الأصلي أي القرآن وترجمته مُتماثلين هو ضرب من الخيال، ولذا فإن العلماء قد أجمعوا على إعطاء النص الأجنبي تسمية "ترجمة معاني القرآن" وليس "ترجمة القرآن" لما لذلك من خيانة للأصل، فلا يُعقل أن يُسمي المترجم القرآن الذي حاول ترجمته "قرآنا" في ذاته لأن هذا الأخير هو كلام الله ولغته الأصل هي "العربية" وليس كلاما آخر حتى وإن كان هذا الكلام ترجمة له.

لقد اختلفت آراء العلماء وفتواهم حول ترجمة القرآن الكريم وأنكر بعضهم جواز ترجمته إلى اللغات الأخرى لما فيه ضياع للمعنى واختلال في تركيبه، فمن خلال إطلاعنا على معظم ترجمات المستشرقين، انصبت جهودهم حول ترجمة القرآن الكريم كلمة بكلمة متجاهلين بذلك معانيه والسياق، فكانت عناوين ترجماتهم إما "القرآن" أو "ترجمة القرآن" كما يذكر بعض المستشرقين في مقدمات ترجماتهم بأنهم راعوا في ذلك نقل النص القرآني دون معانيه، إذ يقول جاك بيرك "عَمَدْتُ من خلال دراساتي المتواصلة والمستمرة بحيث أكون في مستوى ترجمة النص، ولكي لا يحدث أي تقصير في النص الفرنسي الذي يتوخى تقديم القرآن الكريم بكل أبعاده اللغوية والروحية إلى لغة أخرى" (بن محمد عبد المحسن، صفحة 6)

إن المشترك العام في جميع هذه الترجمات التي كتبها المستشرقون وعلى رأسهم "جاك بيرك" أنهم لم يُحاولوا فهم معانيه الدقيقة مع الأخذ بعين الاعتبار السياق، لقد كانت ترجماتهم استكشافية واتّسمت بالسطحية تحمل ثقافتهم وتعكس خلفيتهم الدينية وهذا ما لاحظناه من خلال عباراتهم وألفاظهم حتى وإن لم يشعروا بذلك كما عَمَدوا إلى إضافة ملاحظاتهم على الهوامش التي لم تكن لها علاقة بإيضاح المعنى.

مثال:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنزَلْنَا عَلَاقَ لَيْلِهَا التَّكْوِيمَ ۖ إِنَّا لَنُفِئُهَا ۖ﴾

(سورة القصص الآية 10)

"La mère de Moïse en eut le cœur si vide qu'elle faillit le faire reconnaître, sauf que Nous ceignîmes son cœur, afin qu'elle se comportât en vraie croyante" (Berque, 1995, p. 413)

في هذا المثال ترجم جاك بيرك كلمة "فؤاد" بـ "cœur" و كلمة "قلب" بـ "cœur" كذلك، لعدم وجود كلمة في اللغة الفرنسية تُرادف الكلمة الأولى عكس اللغة العربية حيث أن الكلمة الأولى مختلفة عن الثانية ويكمن الفرق

بين الكلمتين في أن "القلب" في اللغة العربية حسبما قاله الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن "وقلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة قلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك" (الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، 2015، صفحة 411)

وأما "الفؤاد" فهو "القلب" كما جاء في لسان العرب لابن منظور "والفؤاد القلب لتفؤده وتوقده". قال البرهان البقاعي: "وخصَّ بالذكر لأنه أطف ما في البدن وأشدُّه تألُّماً بأدنى من الأذى..." (الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن مجلد 1، 2004، صفحة 646)

لذا كان على المترجم هاهنا أن يستعين بالهوامش لشرح الفروقات الدقيقة بين الكلمتين وأنَّ معناهما في اللغة العربية عموماً ولغة القرآن تحديداً ليس نفسه.

2.4.4. جهله بلغة القرآن ومصطلحاتها:

جاء الإسلام ختاماً للأديان كما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء والمرسلين وختم الله بالقرآن كل الكتب السماوية الأخرى، فقد كان ولا زال هذا الكتاب المقدس يُثير اهتمام الراسخين في العلم وكذا اللغويين المسلمين منهم وغير المسلمين، فقد لجؤوا إلى دراسته و التَّوغل في أسرارهِ وكلماتهِ ومصطلحاتهِ كما سَعُوا إلى تفسيرهِ وفهم معانيهِ، لهذا فقد كان لبعض الترجمات الفضل في تعرُّف المستشرقين على النص القرآني لاسيما إعجازه، بالرغم من أنَّ حلاوة القرآن تكمن في قراءته وتدبره بلغته الأصلية وتجدر الإشارة أنَّ من المستشرقين من قاموا بترجمة القرآن الكريم ترجمة غير سوية ذلك لافتقارهم وجهلهم بلغة القرآن من جهة وبأصل وأسباب نزول هذا الأخير من جهة أخرى، وعلى ضوء ذلك يؤكد المستشرق الفرنسي جاك بيرك أنَّ ترجمة معاني القرآن الكريم لا يمكن أن تكون ترجمة حرفية إنما نقلاً للمعنى وتفسيراً الآيات على وجه الخصوص، فعمق المعاني وعذوبتها لا يمكن نقلها بشكل دقيق.

مثال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة البقرة الآية 26)

"Dieu ne répugne pas à tirer semblance d'un ciron ni de ce que le dépasse quant à ceux qui croient, ils savent bien que c'est là le vrai, venant de leur seigneur. Quant aux dénégateurs, ils se demandent : qu'est-ce que dieu peut bien vouloir sous cette semblance, il est vrai que par là il en égare d'aussi nombreux qu'il en dirige. Il n'égare par-là que les scélérats." (Berque, 1995, p. 29)

إن المثال أعلاه يُجسد جهل المستشرقين باللغة العربية وغازة معانيها حيث ترجم المستشرق الفرنسي جاك بيرك كلمة "بعوضة" بـ "ciron" وهي تنتمي إلى العنكبوتيات التي ليس لها أجنحة وتسمى "عث الدقيق" (Madeinfutura, 2001) أما البعوضة ومن خلال التفاسير على غرار تفسير ابن كثير ذكر أنه ما من شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة [...] فأخبر أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً ولو كان في الحقارة والصغر

كالبعوضة و"فما فوقها" فما دونها في الصغر [...] وفي الحديث : لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا ، وهذا غير مطابق لترجمة المستشرق الفرنسي حيث أن الترجمة الصحيحة للكلمة هي 'Moustique' والتي تعني حسب un insecte de la famille des diptères dont la femelle pique la peau pour aspirer le sang (LeRobert) للمعنى الحقيقي للكلمة كذلك في المثال الثاني ترجم كلمة 'يستحي' ب'repugne' والتي تعني حسب قاموس « inspirer à quelqu'un du dégoût , de l'aversion physique ou inspirer quelqu'un du mépris (Larousse) وهي غير مطابقة لمعنى الكلمة حسب ما فسره ابن كثير حيث قال "لا يستحي أي :لا يستنكف وقيل : لا يخشى أن يضرب مثلا ، لذا كان على المترجم ترجمة الكلمة ب "ne se gêne pas" (محمد، 1420هـ، صفحة 5)

أما في المثال الثالث ترجم كلمة " الفاسقين " ب "scélérats" وهي تعني « qui manifeste des sentiments ou des intentions criminelles » (LeRobert) الفاسقين قال : هم المنافقون [...] وقال ابن جريح عن مجاهد... يقول : يعرفه الكافرون فيكفرون به. (كثير، صفحة 5)

لذا رأينا أن الترجمة الصحيحة هي "pervers" أو "mécréants" (محمد، 1420هـ)

3.4.4. إعادة ترتيب أجزاء آيات القرآن الكريم:

من بين المناهج التي اعتمدها المستشرقون في ترجمة معاني القرآن الكريم بما في ذلك "جاك بيرك" تغييرهم ترتيب أجزاء الآية الواحدة بدون أي مبرر يُذكر، فهذا الأمر لا يجوز مع أي نص كان خاصة إذا تعلّق الأمر بآيات قرآنية ونص مقدس، فمن الأمانة العلمية المحافظة على نفس الترتيب الوارد في القرآن الكريم وكل زيادة أو نقصان أو تغيير ما هو إلا تحريف، وقد ورد عن الإمام الخطابي في كتابه "عجاز القرآن" أنه قال أن "اللفظ في مكانه إذا أُبدل فسَدَ معناه أو ضاع الرّونق الذي يكون منه سقوطُ البلاغة" (المعروف، 1976، صفحة 22) ومن ذلك على سبيل المثال حين ترجم جاك بيرك قوله تعالى "...ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم.." (سورة البقرة الآية 20) كما يلي:

« Si Dieu voulait, il leur emporterait la vue et l'ouïe » (Berque, 1995, p. 28)

كما ترجم قول الله تعالى "أولاً يعلمون أن الله يعلم ما يُسرّون وما يُعلنون" (سورة البقرة الآية 77) بما يلي:

« Et je sais ce que vous publiez comme ce que vous cachez » (Berque, 1995, p. 36)

حيث أنه عكس أجزاء الآيات ولم يراعي ترتيبها الأصلي في القرآن، لذلك فالحفاظ على الترتيب الإلهي أمر في غاية الضرورة ولا يجوز التصرف فيه.

5. خاتمة:

إن أهم ما ميز ترجمات المستشرقين على غرار جاك بيرك أنهم لم يراعوا إختلاف تراكيب الجمل عند الانتقال من اللغتين الفرنسية و العربية وخصائص هذه الأخيرة بما في ذلك سعة المفردات والترادف لذلك لم تكن ترجماتهم دقيقة ذلك لأنهم لم يبحثوا بشكل معمق عن السياق التاريخي و الدلالات المجازية وكذا أسباب نزول القرآن الكريم والتفاسير.

لهذا ارتأينا أن نقترح حلول لكل مترجم يعتني أيا عناية بترجمة معاني القرآن الكريم وهي كالآتي :

- تأسيس أكاديمية متخصصة لتأهيل المترجمين .-
- إسناد الترجمة لمترجم متخصص في علوم القرآن والتفسير وكذا علوم اللغات .
- تقديم الدعم للمترجمين وتقدير مجهوداتهم .-
- الإستعانة بالحواشي المفسرة.
- وضع مقدمة للترجمة يتم فيها التأكيد على بعض الثوابت وهي:
- أن تلك الترجمة ليست القرآن نفسه، فلا نتعامل معها ككلام الله فلا نُصَلِّي بها ولا تُقرأ كبديل عن هذا الأخير.
- إن القرآن يختلف عن كلام البشر فهو كلام ربانيٍّ مُعجز في أسلوبه وفي ألفاظه ولا يُمكن ترجمته حرفياً، فالترجمة مساعدٌ لتقريب المعاني..
- أن النص العربي للقرآن الكريم واحدٌ لا يتغير أمّا التفاسير فتختلف وذلك لأن الكلمة الواحدة قد تحمل عدة معانٍ، لذلك على المترجم الاستعانة في الهوامش بالمعاني المحتملة للكلمة الواحدة..
- الابتعاد كل البعد عن الخلفيات العقائدية والدينية وحتى الثقافية لمترجم القرآن.
- الإستعانة بمترجمين مسلمين وعرب متخصصين ومُلمين بعلوم القرآن والفقه وكذا باللغة العربية وعلومها.
- الإطلاع على أسباب النزول والأحاديث الصحيحة لفهم معاني القرآن في السياق.

-ابن كثير، تفسير ابن كثير سعود، آيات - القرآن الكريم - Holy Quran مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك 576 متاح على الرابط <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya26.html> تم الإطلاع عليه يوم : 2024/02/16 .

-سورة يس، الآية 70

-سورة الحجر، الآية 22

-سورة البقرة، الآية 65

-لاشين موسى شاهين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، دار الشروق، 2004: صفحة 38

-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-وافي محمد عبد الواحد، فقه اللغة، نضضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة : 2004، صفحة 131

-سورة مريم، الآية 90-92

-سورة الرعد، الآية 3

-سورة النبا، الآية 7

-سورة فاطر، الآية 27

-سورة البقرة، الآية 179

-سورة البقرة، الآية 17

-القرآن الكريم تفسير الطبري النسخة الإلكترونية، صفحة 4، متاح على الرابط

<https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya17.html>

تم الإطلاع عليه يوم : 2024/02/12.

-زناتي أنور محمود، مفهوم الإستشراق، 2012 متاح على الرابط <https://www.alukah.net/culture> تم الإطلاع عليه يوم :

2024/02/15 .

-مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، لبنان، دار الإرشاد: 1969، صفحة 5

-البدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، بيروت : دار العلم للملايين، 1993.

-حسين محمد خضر، نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، المجلد الثاني، 2020، صفحة 11

-بن محمد عبد المحسن، مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم دراسة تاريخية نقدية، صفحة 6 متاح على الرابط

<https://www.noor-book.com> تم الإطلاع عليه يوم : 2023/05/03

-سورة القصص الآية 10

Berque, J. (1995). Le Coran essai de traduction. Paris: AlbinMichel, p 413.

- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، لبنان: دار المعرفة، 2015، صفحة 411

- سورة البقرة الآية 26

- Berque , opcit, p29.

- (Madeinfutura, 2001, Madeinfutura groupe <https://www.futura-sciences.com/planete/definitions/zoologie-ciron-13319/> consulté le 12/01/2024.

Larousse <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/r%C3%A9pugner/68540> consulté le 12/01/2024

-LeRobert <https://dictionnaire.lerobert.com/definition/scelerat> consulté le 28/12/2023.

، صفحة 5.-محمد حميد الله، القرآن الكريم وترجمته إلى اللغة الفرنسية، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف 1420هـ

- ابن كثير، تفسير ابن كثير، سعود، آيات - القرآن الكريم - Holy Quran مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك 5 صفحة متاح على الرابط <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya26.html> تم الإطلاع عليه يوم : 2024/1/14
- محمد حميد الله، مرجع سبق ذكره، صفحة 5.
- المعروف أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، إعجاز القرآن، مصر: دار المعارف، 1976 صفحة 22
- سورة البقرة الآية 20
- Berque, J. opcit, p28.
- سورة البقرة الآية 77
- Berque, J. opcit, p36.

7. 1 قائمة المصادر

- القرآن الكريم
- ابن كثير، تفسير ابن كثير سعود، آيات - القرآن الكريم - Holy Quran مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك متاح على الرابط <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya26.html> تم الإطلاع عليه يوم : 2024/02/16

- الطبري، تفسير القرآن الكريم النسخة الإلكترونية، متاح على الرابط <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya17.html> تم الإطلاع عليه يوم : 2024/02/12

7. 2 قائمة المراجع باللغة العربية

- البدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين، 1993.
- بن محمد عبد المحسن، مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم دراسة تاريخية نقدية، متاح على الرابط <https://www.noor-book.com> 2023/05/03 تم الإطلاع عليه يوم : 2024/02/15
- حسين محمد خضر، نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، المجلد الثاني، 2020
- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، لبنان: دار المعرفة، 2015
- زناتي أنور محمود، مفهوم الإستشراق، 2012 متاح على الرابط <https://www.alukah.net/culture> تم الإطلاع عليه يوم : 2024/02/15

- لاشين موسى شاهين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، دار الشروق، 2004
- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، لبنان، دار الإرشاد: 1969
- محمد حميد الله، القرآن الكريم وترجمته إلى اللغة الفرنسية، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف 1420هـ.
- المعروف أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، إعجاز القرآن، مصر: دار المعارف، 1976
- واني محمد عبد الواحد، فقه اللغة، نخبة مصر للطباعة والنشر، القاهرة: 2004،

7. 3 المراجع باللغة الأجنبية

- Berque, J. (1995). Le Coran essai de traduction. Paris: Albin Michel.

<https://www.futurasciences.com/planete/definitions/zoologie-ciron-13319/>
consulté le 12/01/2024.

Larousse <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/r%C3%A9pugner/68540>
consulté le 12/01/2024

-LeRobert <https://dictionnaire.lerobert.com/definition/scelerat> consulté le -
28/12/2023.

-Madeinfutura, 2001, Madeinfutura groupe <https://www.futura-sciences.com/planete/definitions/zoologie-ciron-13319/> consulté le 12/01/2024.